

بسم الله الرحمن الرحيم

## القول في الأذنين

للدكتور محمد هيثم خياط

لأني من المعجبين بالأخ الأستاذ الدكتور إبراهيم السامرائي، بادرت إلى كتابة هذا التعقيب، خشية أن يسارع المعجبون به وهم كثير، إلى الاقتناع بما كتبه في العدد المزدوج (٢٨-٢٩) من مجلة مجمع اللغة العربية الأردني (ص ١٤٢).

فقد قال حفظه الله في حديثه عن القاعدة التي تقضي بإلحاق علامة التأنيث في المصغّر الذي خلا أصله من العلامة: ومن الغريب أن المعاصرين قد جهلوا هذه القاعدة، ولذلك صغروا "أذن" على "أذنين" فقالوا الأذنين الأيمن، والأذنين الأيسر، كما في الكتب المدرسية، وجعلوا هذا المصغر مقابلاً لبطين في قولهم البطين الأيمن والبطين الأيسر اه".

وأول ما أريد أن أنبه عليه، أن "الأذينة" التي يُرغّب الأستاذ الفاضل في استعمالها هي عضو آخر غير "الأذنين" فالأذنين atrium هو ذلك الجوف القلبي الذي يعلو البطين. وفي القلب أربعة أجواف أذنان وبطينان. ولكن تتصل بكل "أذنين" من الأعلى والخلف "أذينة" auricula تشبه الأذن الصغيرة، وقد يقال لها "زائدة الأذنين".

وأذنا القلب اللتان كان يتحدث عنهما اللغويون والأطباء العرب، ليستا باatria وإنما هما ال "auriculae" ففي كتاب خلق الإنسان لثابت بن أبي ثابت: "وفي القلب أذناه، وهما في ناحيته يشبهان بالأذنين" وأذنا القلب - في القاموس "رَئِمَتَانِ في أعلاه" وهما كذلك في قانون ابن سينا "زيدتان على فوهتي [القلب] كالأذنين..." (المقالة الأولى من الفن الحادي عشر من الكتاب الثالث ص ٤١١ في طبعة رومية)... وهما "زائدتان شبيهتان بالأذنين يسميان أذني القلب..." (كامل

الصناعة الطبية لعلي بن العباس، ص ١٠٨) ولم يكونوا قد شرّحوا القلب تشريحاً دقيقاً من الداخل ليعرفوا الـ "atrium" حق المعرفة، فهو لا يميز في ظاهر القلب وإنما تميز زائداته فحسب.

وليس يخفى أن كلمة "auricula" أحقُّ بكلمة "الأذينة" لأنها تصغير "auris" في اللاتينية ومعناها "الأذن". أما كلمة atrium التي حلت محل auricle (الإنكليزية) في التسمية التشريحية الحديثة فهي من اللاتينية، وهي صحن الدار الرومانية القديمة، تتصل به من هنا وهناك أجنحة وغرف وممرات، كما أنها أطلقت أيضاً على أي ساحة مفتوحة تحيط بها أروقة ذات عمد، وهي بنية توجد عادة قدام المعبد.

وقد وجد "المعاصرون" أن من الخير أن لا يناوأ كثيراً باللفظ المقابل لكلمة atrium عن اللفظة التي شاعت من قبل عند قدمائنا، ويؤدوا المعنى الجديد في الوقت نفسه، فاختاروا تصغير "الأذين" بفتح الهمزة وكسر الـ ذال المعجمة) وهو المكان الذي يصل إليه الأذن، وهو الأذن أيضاً، وهو مذكر يصغر تصغير ترخيم على أدين" (بضم الهمزة وفتح الـ ذال المعجمة).

وبعد، فقد أشار الأستاذ الفاضل في حاشية الصفحة الآتفة الذكر من مقاله القيم، إلى أن إلحاق علامة التانيث في المصغر الذي خلا أصله من العلامة "قاعدة شاملة عامة في العربية، وأنه لم يقف على الشواذ منها إلا على كلمة "قوس" وهي مؤنثة من غير علامة ولم يسمع تكبيرها. ولكنهم قالوا في تصغيرها قويس ولم يؤثر عنهم قويسة".

ولأمر ما اختار الأستاذ هذا المجال. وإلا فالقوس - كما الجوهري - "يذكر ويؤنث، فمن أنت قال في تصغيرها قويسة ومن ذكر قال قويس". وفي العربية كثير من الأمثلة على مؤنثات لا تؤنث مصغراتها، يحضرنى منها الآن أربعة:

١- الدرع "وتصغير الدرع: دُرَيْعٌ بغير هاء على غير قياس لأن قياسه بالهاء، وهو أحد ما شذ من هذا الضرب. ابن السكيت: هي درع الحديد" (اللسان: درع) على انه قد ورد تذكير الدرع فحكى اللحياني: درع سابعة ودرع سابغ، وقال سابغ، وقال أبو الأخرز:

مقلصا بالدرع ذي التغضن يمشي العِرضني في الحديد المتقن  
٢- الضحى، "والضحى أنثى وتصغيرها بغير هاء لئلا يلتبس بتصغير ضحوة (اللسان: ض ح ي) وأنشد للنابغة الجعدي:

كأن الغبار الذي غادرت ضُحَيًّا دواخن من تتضب  
الشاهد فيه تصغير ضحى على ضُحَيٍّ، وكان القياس أ، تصغر بالهاء لأنها مؤنثة، إلا أنهم صغروها بغير هاء لئلا تلتبس بتصغير ضحوة" (شرح الشواهد، حاشية الصفحة ١٣٨/٢ من كتاب سيويوه).

٣- الناب، وتصغير الناب من الإبل - وهي مؤنثة - نُيِّبٌ بغير هاء... فيقال سميت لطول نابها فهو كالصفة فلذلك لم تلحقه الهاء، لأن الهاء لا تلحق تصغير الصفات..."

٤- العروس، "وفي حديث ابن عمر أن امرأة قالت له إن ابنتي عُرَيْسٌ وقد تمعط شعرها، هي تصغير العروس ولم تلحقه تاء التأنيث وإن كان مؤنثاً لقيام الحرف الرابع مقامه"

وفي الأمثلة الثلاثة الأخيرة تعلّلت ثلاث: "عدم الالتباس" و"شبهة الصفة" و"قيام الحرف الرابع مقام التأنيث" فإذا كانت التعلّة الأولى معتبرة، وهي كذلك إن شاء الله، فما كان أحرى أن تصغر "الأذن" على "أذنين" لئلا تلتبس بتصغير "أذنة" وهي خوصة الشام، وواحدة التبن، والشهوة.

ومعذرة لأخي الأستاذ إبراهيم وشكراً، فقد أتاح لي فرصة لرفع بعض الملام عن أصحابنا "المعاصرين".